





# صمود الأبطال

عن قصة الشهيد(\*)

يوسف جاسر محمد الصالح

بقلم

فوزية السويلم

(\*) تمت الاستعانة بحوثيات الشهيد من كتاب د. نجاة عبدالقادر الجاسم: شهداء الكويت، بطولاتهم وتضحياتهم، الجزء الثالث، ص ٤٧ - ٥٥.

صمود الأبطال

- ١ -





953.8 السويلم ، فوزية  
صمود الأبطال: قصة الشهيد يوسف جاسر محمد الصالح / بقلم فوزية السويلم  
ط5 - الكويت: مكتب الشهيد، 2013  
17ص : 21سم. - (بصمات في تاريخ الكويت)  
1 - الكويت - تاريخ - الاحتلال العراقي (1990/8/2 - 1991/2/26).  
2 - الشهيد يوسف جاسر محمد الصالح. أ - العنوان.  
ب- السلسلة

**Depository Number: 2005/00350**

**ISBN: 99906 - 84 - 01 - 4**

صمود الأبطال

- ٢ -





«إهداء»

إلى أرضي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضحية والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

صمود الأبطال

- ٢ -







أخذ يرنو إلى الفضاء الرحب الذي يُغطي الحديقة، تعود به الذاكرة بعيداً إلى أيام طفولته.. تذكر الحيامة.. إنها تبحث عن طعام. رد عليها بتحد: أنا لا أخاف من الحيامة أو غيرها.. سأخرج. قالت: ولكن منظرها بشع ومخيف.. كل الأطفال يخافون منها.. أجاب: سأخرج.. بيوت طينية مُتلاصقة، وأزقة ضيقة تفصلهما ساحات تُرابية.. أبواباً خشبية.. صبية يتجمعون هنا وهناك.. امرأة تجوب الشوارع طلباً للرزق.. بشعة المنظر، تحمل كيساً أخضر.. تصرخ بين الحين والآخر (حيامة حيام).. لا تخلو الأزقة من المجانين الذين يخيفون الأطفال. فتيات يجلسن على عتبة منازلهن وهن يرتدين الأزياء الشعبية، ينظرن إلى الأطفال وهم يلعبون بالقرب من منازلهم.

يحدث نفسه بصمت: كم أتمنى أن تعود تلك الأيام لترى ما نحن عليه الآن.. يبتسم يعود مرة ثانية إلى الماضي.

يعطر حواسه بذكريات الطفولة.. غرفة معلقة في الطريق تصل ما بين بيتين\*، صبية يلعبون تحت ظلالتها.. يسمع الأصوات تنادي يوسف.. يقترب منه أحد الصبية يضع على عينيه «الغتر»\*\*

يداعبونه.. يحاول أن يمسكهم.. يفرون منه.. قال بصمت: ما أجمل لعبة عما كور.. أخذ يردد.. عما كور طاح بالتثور.. قالت والدته وهي تخضب يديها بالحناء.. أين كنت: قال كنت ألعب مع أصدقائي. قالت: الغداء جاهز. قال وهو يرشف الماء من البرمة، ثم سأل والإرهاق واضح على مقلتيه: ماذا طبختي لنا يا أمي؟ قالت: هريس ومنهنة. قال: أريد «قرص عقيلي».. قالت: في المطبخ.

\* مع الأطفال في الماضي ... للكاتب أيوب حسين ص ٥٢.

\*\* لباس شعبي خاص بالرجال .. يغطي الرأس، ص ٢٤.





صوت الدبابات يهز المباني.. القصور.. أزيز الطائرات يزعج أذنيه.  
المدينة تغرق بدم الاستقرار.. يمد يده يتناول حبة مسكنة للصداع..  
العشب الذي يميل إلى الإصفرار يتمايل وكأنه يرفض الواقع. الأشجار  
تقف بشموخ رغم اصفرارها.. جذورها قوية.. سقيت بماء بحر الخليج،  
بأمطار الولاء الغزير.. الغيوم حُبلَى بهموم الغدر والخيانة.. خطوات  
الجنود المنتظمة تخطف منه الاستمتاع بالماضي.. وترغمه على العودة  
إلى الحاضر.. يسأله الجندي: من أنت؟ قال: أنا الكويتي.. قال الجندي  
بغضب: هل أنت تسخر مني، أنا لم أسألك عن جنسيتك. وإنما عن  
اسمك. قال: يوسف. ما الذي تحمله بيدك؟ أجاب: قمامة قال الجندي:  
قمامة فقط؟ افتح الكيس: قال يوسف: خذ الكيس افتحه أنت. تبعثرت  
القمامة، تلوث البيئة ترك الجندي المكان الملوث ثم اتجه إلى طريق  
آخر.

قال بصوت خافت: سأنظف البلد من القاذورات إذا أمكن لي ذلك.

إلتفت يميناً رأى جندياً آخر، سأله ماذا تفعل؟ أجاب كما أنت ترى.  
قال: هل تريد أن ترتاح من هذا التعب؟  
أجاب يوسف وكأنه فهم ماذا يقصد: لا.. لا أريد أن أرتاح. ثم تابع إنى  
أعالج الوضع! جلس الجندي ثم قال: هل لديك سيجارة؟ أجاب يوسف:  
للأسف لا أدخن!

قال الجندي بلهجة حادة: أرني جيوبك. أجاب يوسف للأسف لا أعرف  
الكذب! قال الجندي: كم أنتم أغبياء.

تابع: جميع منازلكم كالقصور.. قال يوسف: كنا فقراء نفوس في أعماق  
البحار لنبحث عن لقمة العيش.. ولكن كنا أغبياء!

تابع وهو شارد الذهن: جميع منازلنا وطن لنا.





همس في أذن الجندي: ما رأيك في جهاز فيديو.  
قال الجندي و هو بيتسم: جميل.. إذن أنت برىء.  
الشوارع تعزف لحن الغربية. الأرصفة تزدهم بالبسطات في جمعية  
الخالدية.. الوجوه تتزاحم، تتساءل ما المصير؟ يفتح الراديو، يستمع  
إلى إذاعة الرياضة.. وهي تنقل تحيات الكويتيين في الخارج.. يفكر  
بتاريخ ١٨/١٠/١٩٩٠م. لقد غادر ابنه الضابط الكويت.. استطاع أن  
يقنعه.. قال يحدث نفسه: أين أنت يا ولدي الآن؟ ها أنت أمامي تعمل  
من أجل الوطن.. يمتزج الحزن بالألم بالخوف، بالرعب، بالرغبة..  
دبابات تريض في كل حي.. الكون يرتدي ثوباً فضياً منثوراً عليه بقعاً  
سوداء يخص بها أمة عربية.

ثوب منسوج بأيدي غادرة.. خائنة.. هم وضعوا بقعاً سوداء..  
الرضيع يصرخ ليضيف إلى عويلنا عويلاً آخر.. رفع رأسه نظر إلى  
أعلى.. قالوا له الجنود بغضب: لماذا لم تغير لوحة السيارة كما أمرناك؟  
أجاب يوسف بهدوء: لن أغيرها.. صرخ الجندي: لماذا؟

-لأنني كويتي ولا أستطيع أن أكون غير ذلك  
واصل الجندي أنت تتحدانا.  
-لا ولكنه القدر.

عنفوان يُبحر مع الأعماق.. يبحث عن السلام.. جرح غائر يأخذ  
بالتقرح كل شيء ينبض بحب الوطن.. يعود إلى الماضي. مجموعة من  
الصبية يغنون.. يرددون. «باچر» العيد ونذبح بقرة وننادي: مسعود  
جبيرالخنفرة\* الأفراح تعم البيوت.. الناس يرتدون ملابس جديدة..  
اليوم عيد الفطر.. انتصبت الديارف الخشبية توزع البهجة على  
الأطفال.. قال يحدث نفسه: لماذا لم ندخر قليلاً من البهجة إلى  
اليوم.. إلى هذا الواقع.. الحاضر المؤلم.. المحزن.. المفرح في نفس

\* كتاب مع الأطفال في الماضي.. للكاتب أيوب حسين.







الوقت لأننا سنحضر الوطن.. الأرض.  
منطقة الرميثية تشهد مسرحية كتب فصولها الزمن. أبطالها يغردون  
لغة الولاء.. لغة الوفاء بالعهد.. صراع الخير مع الشر.. الجحود مع  
الاعتراف بالجميل.. نوافذ مغلقة.. بيوت ملونة بالأزرق والوردي..  
مكسوة بالحجر يكثر في فنائها أوراق السدر والصفصاف المتساقط..  
منارات المساجد تنتصب تحيي صمود الأبطال.. أصوات خفية تكسر  
الصمت الذي يُخيم على المدينة.. أجهزة الاتصالات تنقل تحركات  
الطفل الرضيع.. غيمة سوداء تحيط بالمارة، ثلة من الغزاة يقتحمون  
منزل يوسف:

دوي الانفجارات يثير رعب الأطفال النائمين.. سألوا يوسف: أين ابنك  
صلاح؟ قال يوسف: ليس هنا. قالوا بغضب فاضح: أين هو؟  
أجاب يوسف: خارج البلاد.

صرخوا في وجهه: أنت تكذب: هيا فتشوا المنزل غرفة غرفة، حتى  
دورات المياه، قال يوسف: لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد قلت لكم إنه  
خارج البلاد.

قال الجندي بلهجة حادة: سنخرج الآن ولكن لن نتركك.. سنعود مرة  
ثانية للتفتيش. لن تراتح إلا إذا أخبرتنا عن مكان ابنك. أفهمت؟  
أجاب يوسف ساخراً: سأخبركم حال معرفتي بذلك.

يوم جديد يحمل مفاجآت جديدة، والجنود المعتدين يواصلون انتشارهم  
في كل ناحية، وكل شيء ينذر بالخطر.. أزيز الطائرات.. ضخامة  
الدبابات.. صوت المسدسات.. نقط السيطرة عند كل تقاطع وعلى كل  
جسر.. شباب ينهمكون في إزالة اليافطات المعدنية والإشارات الدالة  
على أسماء الشوارع وأرقام القطع والمنازل.. وبعضهم يحترق بلهب





التور ليوثر الخبز للجائعين.. سيارات تتوقف عند كل بيت لتمدهم بالمواد الغذائية.. يوسف يهتف لصديقه هذا البيت لم يستلم التموين.. أجاب صديقه سنقوم الآن بإمداده بكل مايلزمه من طعام وشراب.  
سأله صديقه هل اتصل بك ابنك صلاح: قال بشيء من الحزن:

لا.. قال: خير فعلت عندما أقنعته بالسفر.. فهم يفتشون على الضباط.. قال يوسف: علينا أن نساعد الأهالي في تنظيف المنطقة.  
سأله صديقه بدهشة: هل ستقوم أنت بحمل القمامة.

قال يوسف: بإصرار وتواضع: نعم.. هيا بنا الآن: فالجنود في غفلة.  
دوار جوازات حولي يرصد متناقضات.

بطولة، إجرام، حب، كره، جمال، قبح.. صورتان متعاكستان متناقضتان.. يرصد حماقات الجنود.. وأهات العجائز.. اللاتي يتساءلن.. ما المصير؟ مأساة أمة تتجسد في التفكك. التبعض. هدم الإنسان العربي.. علاقات تتعفن.. تسكن في مهب الريح.. تسرق براءة الطفولة من ضحكاتهم.. ندخل انفاقاً نجعل مخارجها.. وجوه ملامحها قديمة ولكنها جديدة علينا.. غريبة بالنسبة لنا.. يتمدد على السرير يحاول أن ينام، يدخل عليه آدم بقامته الطويلة و بشرته السوداء.. عمي تريد شيئاً؟

يجيب يوسف: بودي لو نستكمل توزيع المواد الغذائية على بقية البيوت.  
قال آدم: ولكن الوقت متأخر الآن.

يوسف: لا بأس فأنا لم أستطع النوم بسبب هذا الموضوع. لنذهب الآن ونطرق الأبواب. ثم استطرد قائلاً: قد يكونون محتاجين وقد يكونون





جائعين.. هيا بنا يا آدم، الفضاء واسع ورحب يستوعب حلم البائسين والمتفائلين.. انتهاء الأزمة حلم كبير.. يقترب من الواقع تارة وبيتعد تارة أخرى.

أخذ يردد.. الأرض ليست يتيمة؟ من يجروء على اغتصابها مجنون، مجنون.. يطرق الباب برفق.. يأتي صوت .. يهمس.. يجيب: خذوا الخبز والأرز.. هيا افتحوا الباب بسرعة.. يمد يده بحذر ثم يعطيهم كيساً مملوء. يعود إلى الماضي يوم كان يغني مع الأطفال، قرقيعان وقرقيعان عادة عليكم صيام كل سنه وكل عام.

فتيات صغيرات يرتدين البخنق والثوب.. يلفون الفرجان يحملن كيساً ليجمعن به المكسرات من الأسر التي تقوم بتوزيع القرقيعان مقابل أن يغنوا.. أغنيتهم الفلكلورية..

قرقيعان وقرقيعان.. بيت قصير ورمضان.  
سلم ولدهم ياالله- خله له يا الله.

يردد مع الصبية أهزيج الاحتفاء بشهر رمضان وبالتحديد في منتصف الشهر.. يرتدي الدشداشة والفترة والعقال والدته مسرورة بهذا اللبس الذي يوحى لها بأن ابنها أصبح رجلاً كبيراً.. فتبتسم.. وتصفق.. وتضع إناء كبيراً واسعاً يحتوي على مكسرات وأنواع من الحلوى.. تقبله والدته وتقول: ما شاء الله عليك مثل القمر.. تضع في جيوبه قليلاً من الملح حتى لا تصيبه عيون الحساد.. انتهى من اللعب والأغاني.. عرج إلى السوق... دكاكين صغيرة متلاصقة.. اشترى زلابيا وغريبة.. اتجه مسرعاً إلى والدته.

خاطبها مسروراً: اشتريت لك حلويات.. انظري إنها لذيذة تذوقها.. يجلس على الحصير يفتح الكيس المملوء بالمكسرات. تغلبه الغنوة، فينم بجانبه السراج، يعود إلى الحاضر يخاطب نفسه بصمت: هل كنا نعلم







ينظر إلى ساعته: التاريخ يشير إلى ٤/١١/١٩٩٠م، سيارة كبيرة تقف بمحاذاة الرصيف. تحمل حقائب ذات ألوان متعددة.

نساء وأطفال يتسابقون للركوب، تتطلق المركبة باتجاه الجنوب.

يتهد ثم يقول: الآن أنا مرتاح نفسياً. فأهلي خارج البلاد. العصافير تعزف لحناً جميلاً.. ومزعجاً في نفس الوقت.. يهطل المطر يسأل البشر هل غياب الضمير من حتميات القدر؟ هل الغدر والخيانة من صفات العرب؟ أم أنها طيش مجانيين ولا تشكل أي خطر؟ وضع يده على رأسه.. أخذ يفكر.. لقد تم تغيير أسماء المناطق فضاحية عبدالله السالم أطلقوا عليها «البصرة»، وميناء الشويخ «ميناء الرشيد».. مسجد الدولة «مسجد صدام»، مستشفى العدان «مستشفى النصر»، ولقد سميت مصفاة الأحمدية «مصفاة النداء» محطة تعبئة شرق الأحمدية «بشرق النداء»، علت وجهه ابتسامة، أخذ يتمتم أوغاد، جاحدين للجميل.. أعداء الله ورسوله.

إنها أفكار شيطانية، تتغلغل في رؤوسهم.. توسوس في صدورهم، تحثهم على الإجرام، على الاستهانة بحقوق الآخرين، يصرخ.. لا.. لن ينالوا منا.. سنهزمهم حتماً.

يقف في الشرفة ينظر من بعيد.. فناء مدرسي واسع.. طلبة من غير الكويتيين يصطفون.. يسمعون إلى شهاب الجاسم مدير عام المديرية العامة لتربية محافظة الكويت.. الذي هنا المدرسين والطلبة بعودة الفرع إلى الأصل، بقيادة الزعيم الأعظمي.. حدث نفسه بصمت.. كم أنا حزين.

دخل آدم: سأله ماذا تشاهد؟









يده، يأخذ الشاي يتمتم: جزاك الله خيراً. يسمع إطلاق نار.. دوي متفجرات.. يتسابقون إلى البيت.. يقول يوسف بهدوء: الحمد لله لقد تم التوزيع بسلام.

قال آدم: دائماً نحن نحب السلام أليس كذلك يا عمي.. أجابه: هل هناك أجمل من السلام ولكن لعب الأطفال لا تخلو من البنادق! ضحك يوسف ثم قال: ومن النباطة. أيضاً: ثم أردف يوسف لقد كنا نصيد بها طيوراً كثيرة وخاصة في وقت الظهيرة.. إنها لعبة ممتعة.. ولكنها مزعجة للكبار. قال يوسف: ولكنها لعبة ناجحة.

يجلس مع أصدقائه.. قال أحدهم: أنا غير مطمئن.. قال يوسف: الحرب الجوية ستبدأ وإن شاء الله نحن منتصرون.. ثم تابع:

علينا أن نقوي إيماننا بالله وبأننا أصحاب حق ولا بد أن يكون النصر حليفنا.. التفت يميناً تناول طبق حلوى.

قال لمن حوله: تفضلوا.. كلوا.. ثم تابع: وتفاءلوا.. فالظروف تشير إلى الأفضل.. إنها تسير لصالحنا.. لقد كسبنا الرأي العام العالمي.. وهذا مهم جداً لتدعيم القضية.. ثم نحن سباقون للخير فهذا كله يدفع البلاء.. إن مساعدتنا للدول الفقيرة كثيرة.. ثم أردف وهو يتكئ على الأريكة: لقد بنينا مساجد من تبرعات أهل الخير من أبناء الديرية، وكذلك شيدينا مدارس وحفرنا آباراً فهذه الأعمال الخيرة تؤتي ثمارها في الوقت المناسب، متى شاء الله ذلك. كنا دائماً نزرع بذور الخير في أرض الخير.

## الاعتقال

شريط مرئي يمر في مخيلته وهو قابع في غرفة مظلمة.. التاريخ 18/1/1991م.. يطرق الباب بقوة: ثلثة من الجنود يقتحمون المنزل







بشكل جنوني. يقتحمون الغرف، قال يوسف : ماذا تريدون؟ قال أحدهم بغضب: لقد صدر من منزلكم اطلاق نار. وتابع: أين ابنك صلاح؟ قال يوسف: صلاح خارج البلاد. ثم أردف: اطلاق النار صدر من البيت المجاور وليس من منزلنا، ركله الجندي ثم قال: خذوه إلى السيارة التي انطلقت به باتجاه قصر نايف شعر يوسف باليأس من لقاء أهله.. قال يحدث نفسه بحزن شديد: ليس المهم أن التقي بأهلي، فالمهم أن تعود الكويت لأهلها أخذ ينظر إلى ملابسه.. بيجامة بيضاء ذات خطوط حمراء.

مضت عشرة أيام.. عيناه الغائرتان تراقب حركة السلك الكهربائي بخوف.. يقترب منه بالإكراه: يضحك الجندي: ما بك؟ هل أنت خائف... ستكون هذه المرة أشد قسوة من المرة السابقة. يشعر بقشعريرة قوية تهز جسده المترهل. يتحسس أذنه اليمنى، ثم اليسرى.

جدران مخفر الفيحاء تحتضنه بحنان، تحاول أن تخفف عنه، يقترب منه أحد الجنود معه سكين قاطع، قال ساخراً: أين أنت الآن؟ قال يوسف وهو مرهق ومتعب لا أدري.. أجاب الجندي: أنت في مخفر الفيحاء.. خذ هذه الدشداشة إنها لأحد الأسرى السابقين.. قال يوسف وهو ينظر إلى السكين التي في يده، ثم واصل يتمتم، متى سأخرج؟ قال الجندي ساخراً: خارج المخفر الطقس بارد جداً، لذلك رأينا أن تبقى معنا أفضل. مضى ثلاثون يوماً، بشاير النصر تعم البلاد، قليل من الحب يشفي الجروح، السيارة تسير باتجاه منطقة النهضة، قال أحد الجنود انظر له تفحصه هل مات؟ قال الآخر: نعم. إنه جثة. لقد أطلقنا عليه خمس طلقات، أعتقد أنها كافية لإزهاق روحه، سنلقي به هنا.

قال أحدهم: ما رأيك لو نقلها إلى مستشفى الصباح. أجاب الجندي الآخر: فكرة جميلة هيا بنا.





شذى النصر يذوب في الهواء الجوي يلطف الأجواء الملوثة بالدخان المتصاعد من آبار البترول، يتغلغل في الحواس فتتعش المزاج.. ولكن الجرح يبقى ينزف.. ولا جذور مازالت معوجة وتحتاج إلى تقويم.. نسير في طريق الحياة باتجاهات جبرية، البيوت تنتفس الصعداء، النوافذ تخلصت من الشريط اللاصق.. صفحة جديدة تسطر بها الأيام.. بطولات الشهداء والأسرى.. تخاطب العالم وتقول أن أهل الكويت صمدوا بشجاعة وبسالة.. بأنهم على مستوى الحدث.. وبأن أميرنا جابر تربع على قمة الأخلاق قبل أن يتربع على أية قمة أخرى، فاحتضن شعبه وأصبح لهم وطن.. وقف بجانبهم.. منحهم مساحة واسعة من الحب والحنان.. الإبن يعود إلى أرض الوطن بعد التحرير.. يتبارى، الفرح مع الحزن.. يحمل معه أحلام و آمال تصطدم بحجر مزخرف مرصع.

أين والدي.. يجب لا أعلم، يسرع يسجل اسمه مع الأسرى، يعود مرة ثانية، يفتح الثلاجات، يبحث عن جثة والده، جلس على الكرسي قال وهو مطمئن: والدي مازال حياً. الباب يطرق: فتح الباب: اهلاً وسهلاً، تفضل.. قال صلاح:  
ما أخبار الديرة الآن؟ قال الجار: تسير إلى الأحسن. قال صلاح وهو يبتسم: نسينا أن نقول مبارك عليك الشهر.

قال الجار مزاحاً: لا بأس، فهذا من تأثير الصيام. ثم أردف عساكم من عواده.

سأله صلاح : أليس لديك أية معلومات عن والدي؟  
قال الجار: لا.. ولكن هناك سائق إسعاف في مستشفى مبارك من الممكن أن يفيدك فهو لديه مجموعة كبيرة من الصور.  
غسق الليل ، يمسك آلة التكبير، ثم مد يده فأخذ عدسة وضع الصورة تحتها، وعندها،، تعرف على وحشية الإنسان المجرم، ملامح تجسد قسوة الأوغاد.







